نظرية الفضاءات الذهنية في ضوء اللسانيات العرفانية

Mental spaces in the light of cognitive linguistics

زينب بوطيش[1]*

جامعة أبي القاسم سعد الله (الجزائر2)

boutichezineb28@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022 /05/07 ـ تاريخ القبول: 2022/06/19 ـ تاريخ النشر: 2022/06/30

ملخص:

يدور موضوع الورقة البحثية حول نظرية الفضاءات الذهنية لصاحبها فوكوني كونها تعد من النظريات اللسانيات العرفانية، هذه النظرية التي تتمحور لسانيا في دراسة اللغة واستعمالها من حيث البناء الذهني، وكذا سلك التواصل من حيث الوظائف التداولية.

وعلى هذا الأساس فإن نظرية الفضاءات الذهنية تمثل الخلفية الذهنية لعلاقة الصور المكونة للأشياء والأفكار التي نوظفها في التفاعل، إذ أنه لولا نظرية الفضاءات الذهنية لما حدث التواصل.

كلمات مفتاحية: لسانيات، عرفانية، فضاء ذهني، بنائية، تفاعل.

Abstract:

This study aims to research paper revolves around the theory of mental spaces of its owner Fukuni, as it is one of the theories of mystical linguistics, this theory that centers on linguistics in the study of language and its use in terms of mental construction, as well as the communication wire in terms of deliberative functions.

On this basis, the theory of mental spaces represents the mental background of the relationship of the images that make up the things and ideas that we employ in the interaction, since without the theory of mental spaces, communication would not have occurred.

* زينب بوطيش

Keywords: Linguistics, cognitive, mental space, constructivism, interaction.

1. مقدمة :

لعل من أهم قضايا البحث اللساني الحديثة هي قضية اللسانيات العرفانية، التي يطلق عليها البعض «اللسانيات الإدراكية»، التي تعنى بربط اللغة مع علوم عديدة كعلوم الأعصاب وعلم النفس ،... الخ.

وتعتمد اللسانيات العرفانية على العمليات الذهنية المأخوذة من الإدراك والتعرف والتذكر، كما أنها تبحث في كيفية تفاعل جسم الإنسان مع العالم المحيط به.

وعليه فاللسانيات العرفانية تمثل حقلا معرفيا جديدا يقوم على تفسير العمليات الذهنية في التواصل، ولعل من بين أكثر النظريات تمثيلا لاتجاه اللسانيات العرفانية هي نظرية الفضاءات الذهنية، وهذا ما يجعلنا نطرح الإشكالية التالي: ما علاقة نظرية الفضاءات الذهنية بالعرفانية؟ وإلى أي مدى تخدم نظرية الفضاءات الذهنية اللسانيات العرفانية؟

قبل التطرق إلى الإجابة عن إشكالية البحث سنعرض أولا مفهوم اللسانيات العرفانية وكذا موضوعها.

1. اللسانيات العرفانية:

1.1. تعريفها:

اللسانيات العرفانية هي الدراسة العلمية المنتظمة للألسن البشرية من خلال الوحَدات والترتيبات المسؤولة عن تنظيم العمليات الإدراكية وبصفة خاصة: التبويب والتشكيل والتمثيل والمنطق.

ينظر إلى هذا المجال بصفة عامة كونه اتجاها معارضا للمدرسة التي أسسها نعوم تشومسكي، فيما يتصل بالنحو التحويلي التوليدي والفرضيات حول الكليات اللغوية.

والحق أن عددا لا بأس به من رواد العرفانية يصرحون بهذه المدخلية، غير أنهم ليسوا جميعا على درجة واحدة من المخالفة.

تحاول اللسانيات العرفانية تركيز مزيد من الجهود للاستعلام والتحقيق حول المعرفة اللغوية وعلى وجه الخصوص محاولة بناء أوصاف مقنعة حول طبيعة وخصائص المعرفة القائمة عند المتكلم في نفس حال تكلمه وحديثه، وبعبارة أخرى: «ما الذي يعرفه الناطق المتقن والملم باللغة في أثناء استعماله لهذه اللغة»؟ [1] (جيدور، صفحة 216)

«فالواضح أن فوكونيي يعرف الكثير، لكن الأدلة والمعطيات المتراكمة حول طبيعة هذه المعرفة وخصائصها تؤكد باستمرار أنها ليست ذلك النوع الأحادي الجانب من المعلومات اللغوية أو النحوية المقترحة في التصور التوليدي للقواعد العالمية للمعلومات اللغوية أو النحوية المقترحة في التصور التوليدي للقواعد العالمية، وعلى الأرجح نحن أمام ظاهرة أكثر اتساعا وأبعد غورا إذ تشكل جزءًا أصيلا وحتميا من ظاهرة الإدراك والمعرفة عند بني البشر». [2] (جيدور، صفحة 217)

2.1 موضوعها:

وانطلاقا من كل ما ذكرناه من تعريف ونشأة يتبين لنا أن موضوع اللسانيات العرفانية هو دراسة اللغة وعلاقتها بالذهن البشري، وفي هذا الصدد يقول عطية أحمد: «تقوم اللسانيات العرفانية على دراسة العلاقة بين البشرية والذهن والتجربة بما فيها الاجتماعي والمادي والبيئي أي العلاقة بين اللغة +الذهن +التجربة= التجربة (الاجتماعية والمادية والبيئية) ... ، ويذهب التيار العرفاني إلى تجذر تلك المبادئ الكونية في الملكات العرفانية، فينتفي بذلك وجود عضو ذهني مخصوص باللغة، فاللغة مثل سائر الأنشطة الرمزية إنما هي وليدة نشاط عرفاني مركوز في المولدة العرفانية العامة التي تمثل نشاط الدماغ عضوا ماديا.[3]» (أحمد، 2019)

ومن خلال ذلك يمكن عدّ اللغة في أبسط تعريف لها على أنها ظاهرة اجتماعية تتأثر فيها عوامل مختلفة (اجتماعية، أدبية، لغوية، سياسية، بيئية) وغير ذلك ويرجع هذا التأثر إلى (إحداها) عوامل اجتماعية خالصة تتمثل في حضارة الأمة، ونظمها، وعاداتها، وتقاليدها، ومظاهر نشاطها العملي والعقلي، وثقافتها العامة، (وثانيها) تأثر اللغة بلغات أخرى، (وثالثهما) عوامل أدبية تتمثل في نتيجة قرائح

الناطقين باللغة، وما تبذله معاهد التعليم والمجامع اللغوية وما إليها، (ورابعتها) انتقال اللغة من السلف إلى الخلف،

(وخامستها)عوامل طبيعية تتمثل في الظواهر الجغرافية والفيزيولوجية وما إليها، (وسادستها)عوامل لغوية ترجع إلى طبيعة اللغة نفسها وطبيعة أصواتها وقواعدها ومتنها.

وبين عطية أحمد: أن اللغة تمثل بكل خصائصها وطبيعتها وانتظامها جزءا من النظام العرفاني عند الإنسان لذلك يكون للغة خصائص هذا النظام العرفاني، ولذلك تراعي في دراستها الحقائق التي استقرت في شأن العرفانية في سائر العلوم العرفانية .

ويمكن تصور العلاقة بين اللغة والعقل في ضوء النظرية العرفانية كالآتي :العقل صندوق يتم فيه كل الأنشطة الذهنية التي تقوم عليها العلوم العرفانية، ومن بينها علم اللسانيات العرفانية الذي يدرس العمليات العقلية المتصلة باللغة، كإحدى مكونات هذا الصندوق، فتتأثر اللغة بكل خصائص العقل، ونشاطه كسائر العلوم العرفانية لأنها جزء من هذا النظام العرفاني.

2. الفضاءات الذهنية:

1.2تعريفها:

«تمثّل نظرية الفضاءات الذهنية نظرية ضمن نظريات اللسانيات العرفانية وهي في ذاتها تتشكل على أنها مقترح تداولي عرفانيّ وعلى أنها مقترح نظري عرفاني تأليفي ذو مدى دلالي تداولي يسمح باستيعاب اسهامات عرفانية سابقة من قبيل مفهومي الإطار والسيناريو لدى فيلمور والاستعارة عند لايكوف Lakoff وجونسون **Johnson** وتحليل الاقتضاءات بواسطة عوالم الخطاب المتّصل بعضها ببعض عند دنسمور **Dinsmore** ومعالجة ظواهر الإحالة عند نونبرغ Nallenbeوجاكندوف**Jackendoff** إلخ.»[4] (ذويبي، 2016ديسمبر)

وكما تعدّ نظريّة الفضاءات الذهنية النموذج التطوري لما يسمى بالتداوليّة العرفانية؛ حيث يذهب العديد من الباحثين إلى النموذج التداولي العرفاني، الذي أصبح يفك ألغاز اللّسانيّات التداولية بمقاربات إلى القول لسانية عرفانية ومن هذه المقاربات التداولية العرفانية نظرية الفضاءات الذهنية وكانت هي ثمرة عمل اللّساني

فوكونياي G. Fauconnier 1984 وتتقاطع نظرية الفضاءات الذهنية مع نظرية العوالم الممكنة للعالم اللّساني نونبرغ، ولكن هناك بعض الاختلافات؛ حيث بدأ جيل فوكونياي في نظريّة الفضاءات الذّهنيّة متأثرا بنظرية العوالم الممكنة ثم تجاوزها في إطار العلوم العرفانية اعتمادا على النتائج العلمية في علم النفس العرفاني.

نظرية الفضاءات الذهنية Mental spaces theory: «هي نظرية نفسية عرفانية لصاحبها جيل فوكونيي تنخرط ضمن النظريات والمناويل التي تُعنى بتفسير العلاقة بين دلالة الأبنية اللغوية المنجزة والآليات الذهنية التي تنتج تلك الدلالة وتتأولها في إطار النشاط اللغوي الخِطابي».

«نحن نفترض في انتظار إثبات صحة ذلك، أن اعتمادنا لبعض منطلقات هذه النظرية يقدم الكثير من الحلول التي تسمح بتأويل بعض الأبنية اللغوية التي لا يمكن فهمها وتفسير كيفية اشتغالها باعتماد أدوات التحليل اللساني الشكلي المحض. ومن بين هذه المنطلقات أنّ النشاط اللغوي يعدّ نشاطا لسانيا ذهنيا منفتحا على المقام .توظّف العديد من الروابطConnectors العرفانية لتأويل الأبنية والاهتداء إلى الدلالة المقصودة... ويترتب فيه على هذا التفسير اعتبار فهم البنية اللغوية، »سواء كانت جملة أو نصا، أو عمليّةً ذهنية تفاعلية مفتوحة تتحقق بمسار تأويلي يجري في فضاءات ذهنية منطلقها المتكلم ومنتهاها المخاطب في مقام ما.[5] (ذوبي، 2016ديسمبر)

«فالفضاءات الذهنية تختلف عن الهياكل اللغوية ولكنها مبنية في كل خطاب وفقًا للإشارات التي توفرها التعبيرات اللغوية في النموذج، وسيتم تمثيل المساحات العقلية بمجموعات منظمة ومجموعات معدلة مع العناصر أ، ب، ج،...»[6] (Fauconnie)

وحتى نتمكن من إضافة عناصر جديدة إليها، فإننا نؤسس علاقات جديدة بين عناصرها (من الناحية الفنية، المجموعة القابلة للتعديل هي سلسلة مرتبة من المجموعات العادية، سيكون من المناسب التحدث عن الفضاء الذهني الذي تم إنشاؤه على مدار الكلام بدلاً من ذكر ما يلي كمجموعة من المجموعات) يمكن للتوسع اللغوي إنشاء مساحات جديدة للعناصر في هذه المساحات والعلاقات التي ترضيها هذه العناصر.

لاقت هذه النظرية صدى واسعا في الدّرس اللساني الحديث، وذلك من منطلق أنه يمكن لها أن توفر إمكانيات إضافية لتأويل الأبنية اللغوية وتبيين كيفية بناء المعاني وكيفية إنتاجها، وهذا المبدأ يتوضح عند أصحاب هذه النظرية من كون أنّ المدخل الشكلي للتركيب لا يكفل وحده تحقق التطابق بين الكلام ومعناه، وبخاصة إذا تعلق الأمر بالأبنية المجازية التي يتسع فضاء تأويلها، لأنها تتطلب عوامل إضافية من خارج اللغة لفهمها أكثر، بمعنى أن الاهتمام لا يكون بنظام اللغة وإنما بالنظر في استعمال ذلك النظام، وتفسير ذلك الاستعمال، وفي العمليات الذهنية التي تسبق ذلك الاستعمال.

"ونظرية الفضاءات الذهنية واحدة من النظريات التي تبنت البحث في الفضاء اللغوي من حيث هو فضاء ذهني.

2-2 مفهوم الفضاء الذهني عند فوكونيي وآليات بنائه:

«الفضاء الذهني هي نظرية تنتمي إلى الأنساق اللسانية المفتوحة على المخاطب والمقام، ويفسر فوكونيي وفق هذه النظرية العلاقة بين بعض الظواهر اللغوية والعمليات الذهنية التي تتيح تفسير كيفية اشتغال تلك الظواهر داخل الأبنية اللغوية التي تحتويها من قبيل ظواهر الإحالة والدلالة والمطابقة النحوية وبعض حالات الاضمار»[7] (ذويبي، 2016ديسمبر)

ويقصد بهذا التعريف أنه يجب توفر التركيب والدلالة حتى يسهل على المخاطب الاهتداء إلى المعنى المقصود.

يرى فوكونيي «أن الكثير من الأبنية تنطوي على إشكالات في الفهم والتأويل وتكون فيها الدلالة محدثة للبس ويكون التحليل الشكلي التركيبي غير قادر على تفسيرها واعتبر أنه بالإمكان إعادة قراءة تلك الأبنية وتفسيرها بواسطة فضاءات ذهنية تنتظم وتترابط في ضوء قرائن تركيبية ومقامية وثقافية واجتماعية تمكن للمخاطب من الاهتداء إلى الدلالة المقصودة إلى المحال عليه داخل تلك الأبنية، فإذا قال النادل لأمين الخزنة أو قابض النقود: غادرت عجة الأوملات دون تسديد الحساب، فإن البنية تبدو لاحنة دلاليا وإحاليا لأن البنية المعنوية غائبة بين الحدث وصاحبه وبين صاحب الحدث وحاله ولكن هناك رابطا ذهنيا

عرفنيا يجعل المخاطب يهتدي إلى الدلالة المقصودة والموضوع المحال عليه داخل تلك البنية فالمخاطب يعرف أن هناك امرأة زبونا ترتاد ذلك المطعم واعتادت تناول عجة الأوملات.»[8] (ذويبي، 2016ديسمبر) يظهر في المثال المذكور أعلاه أنه يوجد لحن في هذه البنية، ويظهر اللحن من حيث التركيب النحوي وكذا الدلالي ولا يوجد أي رابط ذهني عرفاني يجعل المخاطب يفهم المعنى المرجو.

3- أنواع الفضاءات الذهنية:

إن الفضاءات الذهنية حسب طبيعة دلالتها وعلاقتها بالواقع كثيرة ذلك أن فوكوني يذكر أن الفضاءات الذهنية قد تتكاثر في الجملة الواحدة أو النص الواحد، أي قد يكون عندنا فضاء ذهني أو قد يتولد عنه فضاء ذهني ثان ثم يتولد عن الفضاء الثاني فضاء ثالث...

وهكذا تتولد الفضاءات وتترابط فيما بينها بدءا بالمستوى الأعلى الذي يضم الفضاء الأول الأصلي إلى المستويات الفرعية فنتحصل على شجرة من الفضاءات وقد مثل فوكوني لهذه الشبكة من الفضاءات بالتشجير التالي:

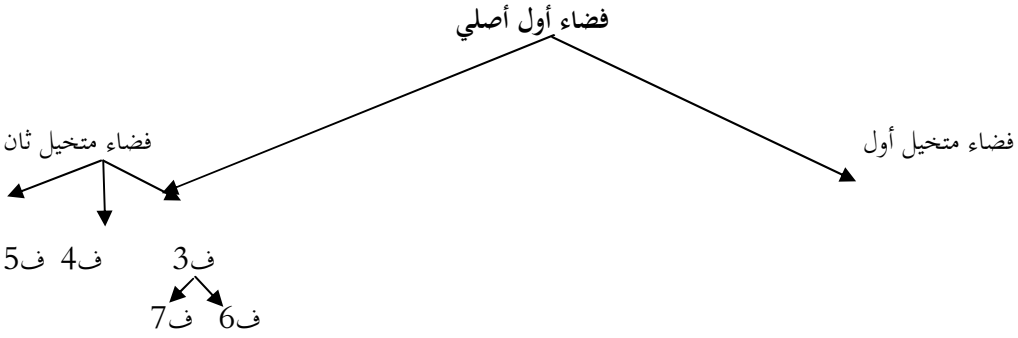

الشكل 1

ويفترض فوكوني وجود فضاء أساسBase space يمكن أن يمثل منطلقا داخل الخطاب ينظر منه إلى سائر الفضاءات فينتظمها وتترابط معه ويسميه الفضاء المنظور كما يفترض وجود فضاء آخر يمثل مركز الفضاءات ويسميه الفضاء البؤرة.[9](Fauconnier, 1997)

4- العناصر البانية للفضاء:

عملية ضبط الفضاءات التي تجري بنيتها اللغوية يسيرها مفهوم الوظيفة التداولية وتتحدد هذه الوظيفة بواسطة عمليات ذهنية تعين العنصرين الأساس في عملية البناء الذهني للفضاء من أجل بناء دلالة الأبنية التي تنطوي على إشكالات في فهم مقصد المتكلم وقد مثل فوكوني العناصر البانية كما التالي:

ج رابط يعبر عن العلاقة بين الفضاء الأول والفضاء الثاني

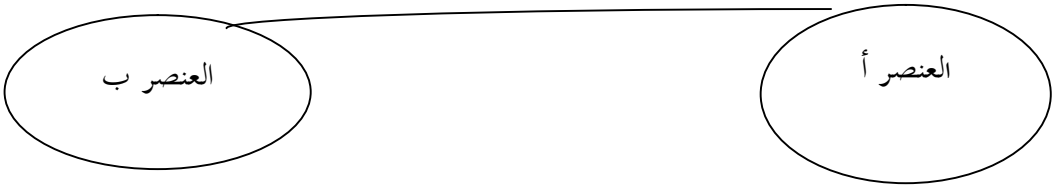

العنصر الثاني القادح العنصر الأول الإحالة

الشكل 2

أما العناصر البانية للفضاء الجديد فهي قرائن تركيبية بالأساس تربط بين العنصر **أ** والعنصر **ب** وتنقلنا إلى الفضاء الجديد أو توجهنا إلى فضاء بعينه إما أن يفتح فضاء جديدا أو أن يحول وجهة البؤرة إلى فضاء موجود سلفا وقد تكون هذه العناصر وحدات تصريفية أو معجمية.

انطلاقا مما سبق يمكن استخلاص أهم المبادئ التي بنى عليها فوكوني نظريته:

«اعتبار الأبنية اللغوية أبنية مرنة متحركة دلالتها احتمالية أي غير معطاة للفهم سلفا ويهتدي إليها عن طريق مجموعة من القرائن الذهنية العرفانية والتركيبية والمقامية.

الربط بين عالم الأذهان وعلم اللسان من أجل الحصول على الأدوات العرفانية التي تفسر المتحقق من الأبنية اللغوية والممكن التحقق.

اعتبار النشاط اللغوي عملية ذهنية تفاعلية مفتوحة يتشارك فيها المتكلم والمخاطب في فضاء ذهني خطابي تأويلي يسمى الفضاء الذهني.»[10] (Fauconnie, p. 1994)

قبل أن نستعرض نتائج بحثنا هذا نستنتج أن الفضاءات الذهنية تعد ضمن النظريات اللسانية العرفانية، التي تبنى فيها المجالات وتنتظم وتترابط فما بينها، حيث يذهب العديد من الباحثين على أن الفضاءات الذهنية تعد نموذجا تطوريا لما يسمى بالتداولية العرفانية.

5 ـ الخـاتمة:

بعد الدراسة السابقة نستخلص النتائج التالية:

ترتبط اللسانيات العرفانية بجملة من العلوم كاللسانيات لفلسفة والذكاء الاصطناعي والحوسبة وعلوم الأعصاب والأنثروبولوجيا.

نظرية الفضاءات الذهنية لصاحبها جيل فوكوني هي وليدة اللسانيات العرفانية إذ هي نظرية نفسية تهتم بنشاط العمليات الذهنية بدلا من دراسة المشاعر والاضطرابات العقلية.

اعتمد فوكوني في نظريته على مجموعة من التساؤلات التي بينت أن عملية الوصول إلى المعنى المقصود لا تقوم دائما على البناء الشكلي للغة.

اعتبر فوكوني أن المتكلم منتج البنية اللغوية سواء كانت جملة أو نصا فإنه ينقل مخاطبه بين فضاءات ذهنية.

تشتغل أبنية الفضاءات الذهنية في جميع مفاصل الخطاب، فإذا كانت في البداية أسست فضاء ذهنيا أساسا وإذا ما اشتغلت في الخطاب أنشأت فضاء جديدا يضاف إلى ما سبقه.

من بين الأدوات التي تبنى بها الفضاءات الذهنية هي الروابط والقرائن اللغوية.

6 ـ الهـوامـش:

[1] عبد الكريم جيدور–اللسانيات العرفانية ومشكلات تعلم اللغات واكتسابها– مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية–ورقلة ص216

[2] المرجع نفسه– ص217

[3] عطية سلمان أحمد–اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ(رمزية، عصبية، عرفانية)–الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي–مصر–2019–ص328

[4] لطفي ذويبي–قدرة الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية–مجلة العلامة– ع4–ديسمبر 2016–ص11

[5] المرجع نفسه-ص11

[6] Gill Fauconnier- Espaces mentaux(Aspects de la construction du sens dans les Langues naturelles -Les éditions De minuit- paris- 1984- P32

لطفي ذويبي- قدرة الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية- مجلةالعلامة- ع4-ص 14

[8] المرجع نفسه-ص17/16

[9] Gilles Fauconnier-Mental spaces-Appects of meaning construction in natural Language-combrige university-press-1997-p39

[10] Gilles Fauconnier-Mental spaces-Appects of meaning construction in natura 1994-p11/12

قائمة المصادر والمراجع:

-عبد الكريم جيدور-اللسانيات العرفانية ومشكلات تعلم اللغات واكتسابها- مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية-ورقلة

-عطية سلمان أحمد-اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ (رمزية، عصبية، عرفانية) -الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي-مصر- 2019

-لطفي ذويبي- قدرة الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية- مجلةالعلامة- ع4- 2016ديسمبر

- Gill Fauconnier- Espaces mentaux (Aspects de la construction du sens dans les Les éditions De minuit- paris- 1984
- Gilles Fauconnier-Mental spaces-Appects of meaning construction in natural Language-combrige university-press-1997
- Gilles Fauconnier-Mental spaces-Appects of meaning construction in natural -1994-
- Langues naturelles -Les éditions De minuit- paris- 1984